في الطريق .. توجد خيارات أخرى.!

بالكادْ وجدت كرسياً أجلس عليه في إحدى عربات الدرجة الثالثة، حين توقف القطار بإحْدى محطّاته. جلس المسافرين متوسدين الكراسي الخشبية. يبعثرون نظراتهم التائهة في لامبالاة غارقين فى الصمتْ. أهملت الرجل الجالس أمامي والذي يدس وجهه في الجريدة الصباحية دون أن يبادلني كلمة. اقتحم العربة صبي أثار الإنتباه. كان ذا وجه حيوى مفعم بالطفولة والبراءة الحلوة، يحشر جسمه الصغير في جلباب مهترىءْ، يثقله بصندوق خشبي معلق إلى كتفه. أخذ ينادى:

ـ « ألمّع، تلمّع يابيه».

أشار إليه أحد الركاب فاستجاب فى سرعة فائقة، بمهارة أخذ الحذاء وبدأ عمله كفنان ماهر يرسم لوحته بإتقانْ. دسّ الرجل في يد الصغير قطعة نقودْ، أخذها وحمل صندوق تعاسته ومضى.. لكنه لم يرفع صوته بالنداء مرة اخرى؛ لقد وقعت عيناه على ذلك الولد الذى يماثله في السن الجالس بجوار أمّه كانت يداها الحانيتنن تمررهما على رأسه وتعيد على أذنيه حكاياتها الحلوة فاستكان لها وبجانبه حقيبته المدرسية. ارتسم على وجهه الحزنْ لكن لم يلبث أن تلاشى سريعاً حين عثر على أترابه. كانوا

جميعاً يحملون صناديقهم على أكتافهمْ. لكنهم تناسوا عملهم، وغرقوا جميعاً في لحظات مرح ولعب طفولي.

الرجل الجالس أمامى والذي كان يدس وجهه فى الجريدة، دون أن يبادلني كلمة واحدة؛ نحّى الجريدة جانبا، تأمل الأطفال وهم يرقصون حاملين أدواتهم.. فوجئت بيده تشير إليهمْ وعيناه قد اكتست بمسحة حزنْ ويقول لي.

.قل لي بربّك، من الجاني على تلك البراءة.؟